

مقاربة الرابط الحجاجي في الخطاب السياسي الأموي

خطبة الحجاج بن يوسف في أهل الكوفة وأهل الشام أنموذجا

**The Approach of Argumentative Links in the Umayyad
Political Speech:
The Sermon of Al-Hajjaj Ibn Yusuf Al-Thaqafi in Koufa
and Sham as an Example**

* نايل بختي

Nail bakhti

جامعة يحي فارس بالمدينة (الجزائر)

مخبر الدراسات المعجمية والمصطلحية

University Yahia Fares of Medea (Algeria)

nail.bakhti2018@univ-medea.dz

تاريخ النشر: 2021/03/30

تاريخ القبول: 2020/12/05

تاريخ الإرسال: 2020/11/04

ملخص البحث

يندرج هذا المقال ضمن سياق استثمار الرابط الحجاجي الذي يعد آلية من آليات الحجاج في البحث التداولي وخاصة في الخطاب السياسي؛ ويقوم المخاطب من خلاله بتثبيت تملك السلطة في الصراع السياسي، وقد ساعد على هذا توفّر دواعي الخطابة السياسية في العصر الأموي، والتي كان أبرزها وجود الخلافات المذهبية والأحزاب السياسية منذ فجر الدولة الأموية وخاصة بعد تولي الحجاج بن يوسف الثقفي الخلافة، وكذلك تميز الأطر العامة لفن الخطبة الأموية عموما عن باقي الفنون النثرية الأخرى، من هنا وقع اختيارنا في توظيف اللسانيات التداولية باعتبارها درس حديث، واستثمار الرابط الحجاجي في خطبة الحجاج بن يوسف كمجال للدراسة الحجاجية. الكلمات المفتاح: تداولية، حجاج، خطاب سياسي، رابط حجاجي.

Abstract :

This article is about the investing of the argument link, which is a mechanism for arguments in pragmatic research, especially in political sermons, and this was helped by the availability of political rhetoric in the Umayyad era, which is the most prominent of them especially after the

* نايل بختي nail.bakhti2018@univ-medea.dz

assumption of the caliphate by Al-Hajjaj ben Yusef al-Thaqafi. Hence, our choice in employing pragmatic linguistics as a recent lesson, and its investment in the Al-Hajjaj ben Yusef sermon as an area for sermon study.

Keywords: Pragmatics, argumentation, Political speech, Argumentative links.



1. مقدمة:

اللسانيات ليست لها قواعد تحفظ، بل هي فكر ونظر وتحليل للغة، تحتاج إلى قراءة مستمرة حتى تتمرس على طروحاتها، وهذا يؤدي إلى تراكم المعرفة ورسوخها، ويوجد توجهان في اللسانيات؛ توجه علمي صارم (اللسانيات الصلبة) وهي اللسانيات البنيوية التي تقيّدت بقيود العلم الخالص. وتوجه علمي منفتح (اللسانيات المرنة) وهي اللسانيات التوليدية. وهذا تفريق هام في هذا النقاش. كلنا نعلم أن اللسانيات تدرس اللغة في استقلاليتها عن المؤثرات التاريخية والاجتماعية والنفسية. وبهذا فهي تخضع لمبدأ "الحايثة" الذي يملئ على اللسانيات دراسة اللغة بعيدة عن المؤثرات الخارجية، والاكتفاء بدراستها باعتبارها نسقا مجردا. وهذا ما اشتهر عند اللسانيات البنيوية. أما اللسانيات التوليدية التحويلية عند تشومسكي، حاولت أن تضيء على اللغة دراسة علمية بشروط جديدة، فانطلقت من صوغ الفرضيات والاستدلال بوساطتها، عكس البنيوية التي انطلقت من المتن اللغوي، ومن هنا نرى أن التداوليات لم تخرج من سوسير ولا من تشومسكي، خرجت بكل تأكيد من اجتهادات رصينة عملت على توسيع مبدأ الحايثة الذي سمح بدراسة اللغة في سياقها الخاص، وأحيل هنا إلى اجتهادات (إميل بنفنيست) و(فولوشينوف). ثم لاحقا إلى أوستين وغرايس، فالتداولية أو التداوليات كما يرى البعض، نظرية واحدة - وليست نظريات، والحجاج مبحث وفرع هام من اللسانيات التداولية، وإذا كان للحجاج آليات شبه مضبوطة فإن التداولية غير ذلك حيث يعتبر الحجاج درسا تداوليا بحتا ينبغي على المتكلم أن يتسلح به نظرا لأهميته البالغة وضرورته التواصلية في مختلف السياقات والاستعمالات الكلامية؛ إذ قد يعتري المرسل بعض المواقف التي يحتاج فيها حتما - بجانب التواصل -، إلى إثبات فكرة أو الدفاع عن رأي أو إقناع طرف بشيء ما في خطابه من خلال ما يطرحه من أفكار، ويعد فن الخطابة في العصور الأدبية السابقة أكثر تطورا لما يحمله من فصاحة في اللسان وصياغة في البيان أما ازدهاره بالضبط فكان في العصر الأموي، فقد برز عدد من الخطباء المشهورين في هذا العصر، وبازدهار الخطب

السياسية فقد عرف العصر الأموي ما يمكن تسميته بالخطاب السياسي، وتأخذ لذلك مثالا لشخصية الحجاج بن يوسف الثقفي الأجدد بدراسة موضوعنا هذا، حيث اشتهر الحجاج بالشدة مع الفصاحة، وخطبه الكثيرة، منها خطبته المشهورة حين قدم إلى أهل الكوفة وأهل الشام. من هنا تبرز أهمية الموضوع الذي من خلاله نستطيع طرح عدة إشكاليات، من أهمها: كيف كانت الروابط الحجاجية متمظهرة في الخطاب السياسي؟ وإلى أي مدى كانت فعالية الحجاج اللغوي واضحة وفق منظور الخطاب التواصلي الإقناعي؟

2. التداولية:

1.2 نشأة التداولية:

يعود الفضل في استحداث مصطلح التداولية في الثقافة الغربية إلى الفيلسوف الأمريكي "تشارلز ساندرس بيرس" حينما نشر مقالين في مجلة "ميتافيزيقيا"، سنة 1978 و1979 بعنوان "كيف يمكن تثبيت الاعتقاد؟ ومنطلق العلم: كيف نجعل أفكارنا واضحة؟ حيث أكد على أن الفكر في طبيعته إبداع العادات فعلية، ذلك أنه مقرون بقيمتين: متى يتم الفعل؟ وكيف يتم؟ فيكون مقترنا بالإدراك في حالته الأولى وفي الحالة الثانية يؤدي الفعل إلى نتيجة ملموسة، ليصل إلى أن الممارسة والتطبيق والفعل، هي التي تشكل الأساس والقاعدة لمختلف الأفكار⁽¹⁾.

ويرجع أول استعمال لمصطلح التداولية إلى الفيلسوف تشارلز موريس سنة 1938، حيث قدم لها تعريفا في سياق تحديده للإطار العام لعلم العلامات، وذلك في مقال له ركز فيه على مختلف التخصصات التي تعالج اللغة (التركيب والدلالة والتداولية)، ليصل إلى أن «التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات»،⁽²⁾ وهو تعريف يتجاوز المجال اللساني ليشمل غيره من المجالات غير اللسانية (المجال السيميائي).

2.2 مفهوم التداولية:

جاء في لسان العرب في مادة (د،و،ل) مايلي: "قال الزجاج: الدولة اسم الشيء الذي يتداول أما في معجم مقاييس اللغة في مادة (دول) وردت على أصلين:

"أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى آخر، والآخر يدل على ضعف واسترخاء، فقال أهل اللغة: إبدال القوم، إذا تحولوا من مكان إلى مكان. ومن هذا الباب، تداول القوم الشيء بينهم: إذ صار من بعضهم إلى بعض والدولة لغتان، ويقال بل الدولة في المال والدولة في الحرب

وإنما سميا بذلك من قياس الباب، لأنه أمر يتداولونه فتحول من هذا إلى ذاك، ومن ذاك إلى هذا⁽³⁾، التداول هو الانتقال والتحول والتبادل للشيء بين الأطراف.

التداولية مصطلح عربي لم يستقر على صيغة واحدة، فقيل: التداولية، المقامية، الوظيفية، النفعية، الذرائعية، السياقية...

ويقابله في اللغة الفرنسية مصطلح: pragmatique، وفي اللغة الإنجليزية مصطلح: pragmatics، وكلاهما يرجع تأصيله إلى اللفظ اليوناني pragmatikos الذي يحيل على كل ما يتعلق بمعاني العمل: action⁽⁴⁾. "وابتداء من القرن السابع عشر انتقل الاستعمال إلى الميدان العلمي فصارت: pragmatique تعني: كل بحث أو اكتشاف من شأنه أن يعرف أو يفضي إلى تطبيقات ذات ثمار عملية"⁽⁵⁾.

وفي الاصطلاح اللساني يرجع استعمال مصطلح pragmatique linguistique إلى الفيلسوف الأمريكي: شارل موريس سنة: 1938، حيث يجعل من التداولية جزء من السيميائيات، وتهتم بمعالجة العلاقة بين العلامات ومستعملها.

فالتداولية: "علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي والتفسيري"⁽⁶⁾، فالتداولية تهتم أساسا بالتواصل بين المتخاطبين في سياقات لغوية مختلفة حيث تستفيد من المجالات المعرفية مثل: علم النفس وعلم الدلالة.

3. الحجاج:

1.3 الدلالة اللغوية للحجاج:

يستدعي التأثير والإقناع في التخاطب الإنساني آلية بيانية فاعلة لتحقيقه، لذا يعد الحجاج ميزة من ميزات هذا التخاطب، إذ يعد ركيزة النصوص الموجهة المتضمنة للمقصدية والنقاش والنقد والجدل، والتي منها: النصوص القرآنية والفقهية، والأدبية والفلسفية⁽⁷⁾...

حيث تكاد تُجمع المعاجم العربية في تعريفها للحجاج على ما جاء في لسان العرب لابن منظور: «يقال حاججته، أحاجه حججا حتى حججته: أي غلبته بالحجاج التي أدليت بما [...] والحجة: البرهان وقيل: الحجة: ما دافع به الخصم وقال الأزهري الحجة الوجه الذي يكون به

الظفر عند الخصومة، وهو رجل محاجج، أي جدل وفي الحديث "فحج آدم موسى: أي غلبه بالحجة"⁽⁸⁾.

2.3 الدلالة الاصطلاحية:

لا تكاد تخلو كتب التراث الإسلامي من تداول مصطلح "حجاج" أو "الاحتجاج" أو "الحاجة" في عدة مجالات وخصوصا في المسائل ذات الطابع الفكري والفلسفي التي كثيرا ما يعترتها الخلاف في وجهات النظر، فهو مستعمل في علوم النحو واللغة والحديث والفقه والأصول وعلم الكلام... وقد استعملت مصطلحات مقارنة لمعنى الحجاج «الجدل» «المنظرة» «الاحتجاج» فتقاربت معانيها - إن لم نقل ترادفت-، وقد أجمعت معظم المعاجم على أن الحجاج مصطلح يقصد به المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم ولا شك أن المفهوم القرآني للمصطلح "حجاج"، "جدل" يختلف على ما جاء في كتب الفلاسفة والفقهاء، فأى مصطلح قرآني مهما شابه غيره أو قاربه في دلالاته ووظائفه يظل قائما بذاته، له حقله الدلالي الخاص به، وخصائصه المميزة له عن غيره⁹.

3.3 المبادئ الحجاجية:

وجود الروابط والعوامل الحجاجية لا يكفي لضمان سلامة العملية الحجاجية، ولا يكفي أيضا لقيام العلاقة الحجاجية، بل لابد من ضامن يضمن الربط بين الحجة والنتيجة، هذا الضامن هو ما يعرف بالمبادئ الحجاجية، وهي تقابل مسلمات الاستنتاج المنطقي في المنطق الصوري أو الرياضي، هذه المبادئ هي قواعد عامة تجعل حجاجا خاصا ما ممكنا، ولها خصائص عديدة، نذكر منها ما يلي¹⁰:

إنها مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة.

العمومية: فهي تصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة والمتنوعة.

التدرجية (La gradualite): إنها تقييم علاقة بين محمولين تدريجيين أو بين سلمين حجاجيين.

النسبية: فإلى جانب السياقات التي يتم فيها تشغيل مبدأ حجاجي ما، هناك إمكان إبطاله ورفض تطبيقه باعتباره غير وارد وغير ملائم للسياق المقصود، أو يتم إبطاله باعتماد مبدأ حجاجي آخر

مناقض له. فالعمل يؤدي إلى النجاح ولكنه قد يؤدي إلى الفشل في سياق آخر إذا زاد عن الحد المطلوب وإذا نظر إليه على أنه تعب وإرهاق وإهدار للطاقة.

فالمبادئ الحجاجية إذن، هي مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية معينة، والكل يسلم بصدقها وصحتها، فالكل يعتقد أن العمل يؤدي إلى النجاح، وأن التعب يستدعي الراحة، وأن الصدق والكرم والشجاعة كم القيم النبيلة والمحبة لدى الجميع، والتي تجعل المتصف بها في أعلى المراتب الاجتماعية، والكل يقبل أيضا أن انخفاض ميزان الحرارة يجعل سقوط المطر محتملا، وبعض هذه المبادئ يرتبط بمجال القيم والأخلاق، وبعضها الآخر يرتبط بالطبيعة ومعرفة العالم¹¹.

وإذا كانت المبادئ الحجاجية ترتبط بالإيديولوجيات الجماعية، فإنه من الممكن أن ينطلق استدلالان من نفس المقدمات، وأن يعتمدا نفس الروابط والعوامل، ومع ذلك يصلان إلى نتائج مختلفة، بل متضادة، ولن يفسر هذا إلا باعتماد مبادئ حجاجية تنتمي إلى إيديولوجيات متعارضة. لكن إلى جانب هذه المبادئ المحلية المرتبطة بإيديولوجيات الأفراد داخل المجموعة البشرية الواحدة، هناك مبادئ أخرى أعم، وهي مشتركة بين جميع أفراد المجموعة اللغوية، ومؤشر لها داخل اللغة¹².

4.3 الخطاب السياسي:

إن كل خطاب سياسي ينشأ في بيئة فكرية وثقافية، في ظروف اجتماعية وسياسية محددة، وهذا ما جعله يعكس انشغالات المرحلة التاريخية ومشكلات المجتمع الراهنة، ففي أواخر الثمانيات من القرن الماضي سجل الخطاب السياسي العربي تحولا كبيرا في مواضيعه تتبع عنه الاستخدام الموسم لمصطلح الديمقراطية وممثلاتها كالمجتمع المدني وحقوق الإنسان، وكانت النتيجة أن ظهر الخطاب الديمقراطي بوصفه جزءا أساسيا من مكونات الخطاب السياسي العربي المعاصر¹³.

5.3 الخطاب السياسي في العصر الأموي:

يرصد المطيري التراجع الخطير في مواجهة ظلم الأنظمة الحاكمة، وكيف كان العلماء والفقهاء يتصدون لهذا الظلم في بداية العصر الأموي قصد مقاومة انحراف السلطة ومحاربتها، بل والدعوة للخروج عليها ورفضهم الدخول في أعمالها وذلك في مطلع القرن الثاني الهجري¹⁴، لكن مع

تعسف الدولة في التعامل مع هذا الخطاب وتلك الحركات التي دعت للخروج عليها ظهر خطاب سياسي جديد يتسق مع هذا الواقع السياسي ويسوغ له. ومع كل تلك التراجعات أصبحت الدولة هي التي تؤسس لهذا الخطاب المؤول، حيث يشير المطيري إلى التطور الذي حدث في الخطاب الفقهي من الخروج على الحاكم الظالم، والحشد لهذه الفكرة ودعوة الناس إليها ومشاركتهم في الحركات السياسية الخارجة على ظلم الدولة، إلى حرمة الخروج على الحاكم الظالم، مستعرضاً آراء الفقهاء ونظرهم الجزئية الآنية للتاريخ التي دعتهم إلى الأخذ بهذا الرأي، حيث يقول (وبهذا دخل الخطاب السياسي الفقهي مرحلة جديدة، قام العلماء فيها بتأويل النصوص لإضفاء الشرعية على الواقع وترسيخه، تارة بدعوى أنّ هذا ما تدل عليه النصوص، وتارة بدعوى أنّ هذا ما تقتضيه المصلحة وأنّ الخروج لا يؤدي إلاّ إلى المفسدة... الخ. دون قراءة صحيحة للواقع، ودون إدراك أنّ المصلحة التي تُظنّ بتحريم مقاومة طغيان السلطة وانحرافها هي مصلحة آنية مؤقتة؛ إذ ما تلبث أن تكون النتائج أشد مفسدة مما كان يخشى من الخروج، إذ تؤول الأمة إلى الضعف والانحلال ومن ثم السقوط كما هي السنن الاجتماعية)⁽¹⁵⁾ ويقول في موضع آخر (لقد نظر أصحاب هذا الخطاب المؤول إلى حركات الاحتجاج السياسي نظرة سلبية من زاوية واحدة، هي ما يحدث بسببها من فتنة قد يذهب بها بعض الأنفس والأموال، دون النظر إلى ضرورة قيام مثل هذه الحركات التي تحول بين السلطة والاستبداد والانحراف الذي قد يؤدي إلى سقوط الأمة كلها تحت سيطرة عدوها الخارجي؟!، وهذا ما حدث فعلاً، فلما وقع المخطور إذ الأمة لا تملك القدرة على الدفاع عن نفسها، بعد أن تم تحطيمها واستلاب حقها، وأصبحت غائبة تعيش على هامش أحداث الواقع، تنتظر من السلطة أن تقوم عنها بكل شيء حتى في تقويمها - أي السلطة - لنفسها ونقدها لسياستها؟)⁽¹⁶⁾.

4. الرابط الحجاجي:

الروابط في اللغة ذهبت معظم المعاجم العربية - قديمها وحديثها - إلى معان لهذا الجذر "ربط"، والتي دارت معانيها حول عدة معان أساسية هي: الشد، الثبات، التوثيق، العلاقة، الشجاعة، الجماعة.... وبالكاد تدور كلها حول معنيين أساسيين: الشد والثبات. أما في الاصطلاح لعل أدقها وأقربها ما جاء في "معاجم المصطلحات النحوية"، في حين أن القدامى لم يعطوا تعريفاً محدداً للروابط، ربما لكونه معروفاً عندهم فلا داعي لذلك، ومن التعريفات

ما جاء في "معجم المصطلحات النحوية والصرفية" بأنه "العلاقة التي تصل شيئين ببعضهما البعض، وتعين كون اللاحق منهما متعلقا بسابقه"¹⁷. وهناك من قال بأنه هو الذي يربط بين اسم أو جملة واسم متقدم ليكتمل معنى الجملة¹⁸.

وهناك من ذهب إلى أن "الرابط عند النحاة هو ما يربط أحد المتصاحبين بالآخر، مثل: الهاء في: زيد قام غلامه، ومثل الفاء في: من أحسن فلنفسه"¹⁹.

5. الأساليب اللغوية لخطبة الحجاج بن يوسف الثقفي:

في خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي الشهيرة له في أهل الكوفة وأهل الشام: خطب فقال: يا أهل الكوفة إن الفتنة تلتح بالنجوى وتنتج بالشكوى وتحصد بالسيف. أما والله إن أبغضتموني لا تضروني وإن أحببتموني لا تنفعوني وما أنا بالمستوحش لعداوتكم ولا المستريح إلى مودتكم، زعمتم أي ساجر وقد قال الله تعالى (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ) (طه 69) وقد أفلحت وزعمتم أي أعلم الاسم الأكبر فلم تقاتلون من يعلم ما لا تعلمون؟ ثم التفت إلى أهل الشام فقال لأزواجكم أطيب من المسك ولأبناؤكم أنس بالقلب من الولد وما أنتم إلا كما قال أخو بني ذبيان:

إذا حاولت في أسد فجورا فأني لست منك ولست مني

هم درعي التي استألمت فيها إلى يوم النصار وهم مجني

ثم قال: بل أنتم يأهل الشام كما قال الله سبحانه: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ) (الصفات: 171-173)، ثم نزل⁽²⁰⁾.

فقد تعددت مظاهر الحجة في خطبه لذا نقف عند التمثيل لبعض هذه الآليات الحجاجية الغوية من خلال تطبيقها على خطبته الشهيرة في أهل الكوفة وأهل الشام.

أ. الروابط الحجاجية:

• الرابط⁽²¹⁾ "بل":

جاءت "بل" عند النحويين لنفي كلام وإثبات غيره، يقول الرماني في شأنها: «وهي من الحروف الحوامل، ومعناها الإضراب عن الأول والإنجاب الثاني»⁽²²⁾.

إن التلغظ بأقوال من نمط " بل " يستلزم⁽²³⁾:

1- أن المتكلم "أ" و"ب" باعتبارهما حجتين، الحجة الأولى "أ" موجهة نحو نتيجة "ن" والحجة الثانية "ب" موجهة نحو نتيجة مضادة "لا - ن".

2- أن المتكلم يقدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى، باعتبارها توجه القول أو الخطاب برمته

وهذا يعني أن "بل" تعمل تعارضا حجاجيا بين ما يتقدمها وما يتبعها وبهذا توجه القول بمجمله نحو النتيجة "لا - ن".

ويمكن أن نأخذ المثال التالي:

قال الحجاج في خطبته: بل أنتم يأهل الشام كما قال الله سبحانه: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ) (الصفات: 171-173)، ثم نزل

إنه الرابط الحجاجي "بل" يقيم علاقة حجاجية مركبة من علاقيتين، الحجة الأولى "أ" والتي ترد قبل الرابط "يا أهل الكوفة" والتي تتخذ نتيجة ضمنية "أهل فتن لا نصر لهم من عند الله".

أما الحجة الثانية "ب" وهي التي ترد بعد الرابط الحجاجي "بل" ألا وهي "أنتم يأهل الشام كما قال الله سبحانه: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ) (الصفات: 171-173)".

الحجة "ب" أقوى من الحجة "أ".

● الرابط الحجاجي "واو الحال":

وهو رابط حجاجي يلعب دور في تقلص الحجج، وباستعماله يكون للحجة طابع البرهان كقول الحجاج: "يا أهل الكوفة إن الفتنة تلقح بالنجوى وتنتج بالشكوى" فالبنية الحجاجية هنا تبدأ بالنتيجة لا المعطاة وهي: النتيجة: تنتج بالشكوى.

الرابط الحجاجي: واو الحال.

المعطاة - الحجة: تلقح بالعدوى.

النتيجة ... → واو الحال (المعطيات) الحجج.

تنتج بالشكوى الواو تلقح بالعدوى.

● حرف العطف "و":

يستعمل "الواو" حجاجيا وذلك بترتيب للحجج ووصل بعضها ببعض بل وتقوى كل حجة منها الأخرى، وتعمل على الربط النسقي أفقيا على عكس السلم الحجاجي⁽²⁴⁾:

إذا حاولت في أسد فجورا فإني لست منك ولست مني
هم درعي التي استلأمت فيها إلى يوم النصار وهم مجني

ح 1: إذا حاولت في أسد فجورا
ح 2: لست مني
ح 3: هم مجني

حجج

فالرابط الحجاجي هنا قام بوصل الحجج وترتيبها لتقوية النتيجة الضمنية.
الجملة المؤكدة "إن":

«وتستعمل هذه البنية غالبا لتصحيح أمر سبق ذكره، وهي أيضا ذات نظام عكس تنازلي»⁽²⁵⁾،
ومن أمثله: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ) (الصفات: 171-
173).

النتيجة: أنهم لهم النصرة والغلبة بالحجج.

الرابط: إن.

الحجة: لأنهم منصورون.

6. خاتمة:

قمنا في هذا المقال بالوقوف على الطريقة المثلى التي يعتمد عليها المرسل في إقناع المرسل إليه وغاية ما
تطمح إليه نفسه، وذلك بتوظيف مجموعة من الاستراتيجيات الخطابية التي تمكنه من توجيه
الخطاب إلى الوجهة التي يميل إليها، ولعل من أبرزها الإستراتيجية الإقناعية التي يحتج بها لقضية أو
موقف معين، لأن غاية ما يطمح إليه الإنسان في حياته اليومية تحقيق نوع من التواصل بينه وبين
المجتمع الذي ينتمي إليه، لذا نجد يوظف مجموعة من التقنيات الحجاجية للزيادة في قوة الفعل
والرفع من وتيرة التفاعل، وعليه يمكن أن نرصد مجموعة من النتائج العامة نوردتها على النحو
الآتي:

✓ مصطلح الحجاج مفهومه متشعب، يتحرك عبر دلالات متنوعة في كثير من الحقول
المعرفية، ارتبط عبر مساره التاريخي بمصطلحات طالما اعتبرت مرادفات له (كالجدل
والحوار والبرهان والمناظرة...) وكل هذه المفاهيم تخدم نتيجة واحدة هي محاولة التأثير
ووصول المتكلم إلى هدفه التبليغي.

- ✓ الحجاج فعالية خطابية تواصلية موجهة إلى مستقبل معين سواء كان فردا أو جماعة يؤدي دورا هاما في اختيار إستراتيجية الإقناع .
- ✓ هناك علاقة واضحة وتحديدات دقيقة بين مصطلحي الحجاج والإقناع؛ فالحجاج هو آلية أو وسيلة تفضي إلى الإقناع، وبين المصطلحين علاقة تتمثل في أن: - كل نص خطابي حجاجي هو بالضرورة نص إقناعي، والعكس غير صحيح. أن الحجاج والإقناع جزءان من عملية واحدة، ولا اختلاف بينهما إلا في درجة التوكيد. بهدف الحجاج والإقناع للوصول إلى تحقيق الإقناع.
- ✓ ثمة ملامح للحجاج في الدراسات التراثية لاسيما جهود الجاحظ في فكرة البيان حيث ركز فيه على الوظيفة التأثيرية التي تمثل جانبا من جوانب البحث التداولي، الأمر الذي يستدعي الاهتمام بالتراث وإعادة قراءته.
- ✓ رصد البحث أهم الاتجاهات التي ساهمت في وضع نظرية حديثة للحجاج عند الغرب، أولها البلاغة أو الخطابة الجديدة لبيلمان، وتيتيكا، اللذين حاولا إضفاء بعد عقلي على الحجاج فهو عندهما حوار يسعى إلى إحداث اتفاق بين الأطراف المتحاوره، في جو من المعقولية بعيدا عن الاعتباطية في الخطابة.
- ✓ ثم جاءت نظرية الحجاج في اللغة لـ ديكرو (Ducrot)، التي تقضي إلى أن الحجاج قائم في جوهر اللغة نفسها بغض النظر عن استخدامها فكل قول مهما كانت الغاية منه والدافع إليه هو قول حجاجي.
- ✓ انفتاح الباحثين العرب المعاصرين في المغرب العربي الكبير على النظريات والمناهج الغربية التي سمحت بإثراء الدرس الحجاجي (الفلسفي، البلاغي، اللساني بوعي علمي دقيق، والكشف عما يحويه التراث الإسلامي من ملامح النظرية الحجاجية، من هؤلاء الباحثين طه عبد الرحمان، محمد العمري، أبو بكر العزاوي (...).
- ✓ إن الحجاج بوصفه إستراتيجية خطابية كان له حضورا في مدونة الحجاج بن يوسف الثقفني إذ تم تحقيقها بمراعاة السياق والمقام المتصل بالواقع المتداول من الصريح إلى الضمني.

✓ تعد المدونة ثرية بالروابط الحجاجية، نظرا لما يحمله أسلوب الحجاج بن يوسف الثقفي من جزالة في التعبير وسلاسة في اللغة، مكنه ذلك من خلال تلك الشخصية الصارمة وكذلك الثقافة الإسلامية التي تماسست في الكثير من خطبه.

هوامش:

- ¹ - الزاوي بغورة، العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة، (المجلد الثالث)، عالم الفكر، الكويت، مارس 2007، ص 199.
- ² - أرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية، (المجلد الأول)، تر: سعيد علوش، منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، 1987، ص 12.
- ³ - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: هارون، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1979، ص 314.
- ⁴ - بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القلم (المجلد الأول)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، 2009، ص 61.
- ⁵ - لوصيف الطاهر، التداولية اللسانية، مجلة اللغة والأدب، مجلة أكاديمية محكمة، معهد اللغة العربية والآداب، جامعة الجزائر، الجزائر، العدد 17، جانفي 2006، ص 06.
- ⁶ - أوشان علي آبت، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص 55.
- ⁷ - هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، العدد 05، مارس 2006، ص 190.
- ⁸ - ابن منظور، لسان العرب، (المجلد الثالث)، دار صادر، بيروت، لبنان، 1993، ص 570.
- ⁹ - إيمان درنوئي، الحجاج في النص القرآني - سورة الأنبياء أمودجا-، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الحاج لخضر - باتنة-، 2012-2013، ص 17.
- ¹⁰ - أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ط01، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، 2006، ص 31.
- ¹¹ - أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ص 33.
- ¹² - المرجع نفسه.
- ¹³ - صالح بلحاج، أبحاث وآراء حول مسألة التحول الديمقراطي في الجزائر، مخبر دراسات وتحليل السياسات العامة في الجزائر، ط1، الجزائر جوان 2012، ص 08.

- 14- المطيري حاكم، الحرية أو الطوفان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الكويت، 2004، ص 141.
- 15- المصدر نفسه، ص 165.
- 16- المصدر نفسه، ص 166.
- 17- محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985، ص 90.
- 18- محمد التونجي، وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ج1، ص 318.
- 19- حسن سعيد الكرمي، الهادي إلى لغة العرب، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ط1، ج2، 1991، ص 121.
- 20- ابن أبي الحديد، شرح نصح البلاغة، (المجلد الأول)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه القاهرة، مصر، 1959، ص 342.
- 21- الجاحظ، البيان والتبيين، (المجلد الأول)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 79.
- 22- الخيكاوي علي سعيد جاسم، معاني الحروف للرماني، (المجلد الأول)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2005، ص 71.
- 23- العزاوي أبو بكر، الحجاج في اللغة، ط01، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 57.
- 24- الشهري عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، (المجلد الأول)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004، ص 472.
- 25- المصدر نفسه، ص 57.